التخلي عن المسؤولية الدينية
في المنظور القرآني
ـ دراسة موضوعية ـ نماذج مختارة

الدكتور
مكي وليد عبد الكريم
كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة/ قسم القراءات

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد:

فإن من القيم العظيمة التي أرساها ديننا الحنيف، وحث عليها، تحمل المسؤولية وعدم التخلي عنها، فقد خاطب بذلك الأفراد والمجتمعات، وجعلها سبباً للحياة السعيدة الطيبة، والنجاة في الآخرة، فالقيام بالحقوق الأسرية وإتقان الأعمال والقيام بالواجبات الدينية وغيرها، ...الخ، مسؤولية واجبة علينا، فهي تحكم سلوكياتنا و تصرفاتنا، أفراداً ومجتمعات .

فكل فرد منا مسؤول أمام الله تعالى وتجاه رسوله صلى الله عليه وسلم، ودينه وأمته ومجتمعه وبيته وأسرته وأولاده، يجب أن يؤديها، فإنه سيسأل عنها يوم القيامة، فثقافة التبرير، واختلاق الأعذار، وإلقاء المسؤولية على الآخرين دمر حياتنا ومجتمعاتنا، فالأب المقصر في تربية أولاده يرجع الأسباب إلى تقصير الأم وانشغاله بأعماله، والموظف الكسول في عمله يرجع الأسباب إلى زملائه والمديرين ورؤساء الأقسام وغيرها من الأسباب، والأستاذ لم يدرك مسؤوليته تجاه تلاميذه، فلا هو رباهم، ولا علمهم، ولا بذل من أجلهم أقل الجهد لرعايتهم، ويرجع سبب تقصيره إلى وضع المجتمع، وتقصير الآباء في متابعة أبنائهم، وهكذا يظهر الضعف في تحمل المسؤولية والتهرب منها في أغلب شرائح المجتمع وفئاته .

ومن هنا تكمن أهمية الموضوع، فالشعور بالمسؤولية وعدم التخلي منها، يجب أن يصبح في حياتنا، خلقاً، وسلوكاً، وضرورة، تمارس في واقع الحياة، حتى لا يحدث التساهل في الواجبات، ولا تضيع الحقوق، وكي تسود الأخلاق وقيم الخير في

المجتمعات، فالأمم والمجتمعات لا تتطور ولا يحدث في حياتها تغيير، إلا عندما تحمل مثل هذه القيم .

والتخلي عن المسؤولية، يعد من الأمور التي تطرق إليها القرآن الكريم، وذمها، وبينت آياته أن المتخلي عن المسؤولية مبغض عند الله تعالى وعند الناس.

أما أسباب اختياري الموضوع، فمنها :

– رغبتي في خدمة كتاب الله العزيز، على قدر الوسع والطاقة، التي أستمدها من الله سبحانه، وهو الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها .

– حاجتنا اليوم إلى الرجوع إلى كتاب الله تعالى والعمل بمقتضاه، ولاسيما بعد ابتعادنا عنه، وعزوفنا عن تلاوته، وفهم معانيه، ولا يخفى علينا ما نعانيه، في هذه الأيام، من التصدع الحاصل في الأسرة والمجتمع، والضغط الفكري والنفسي والسلوكي الواقع على أفرد المجتمع، وما ذلك إلاّ لأننا شُغِلنا عن القرآن الكريم بوسائل الاتصال الحديثة (مع إيجابياتها) وما خلفته من سلبيات تمسكنا بها، علاوة على القضايا الاقتصادية والأمنية والسياسية التي تعصف ببلادنا وأمتنا..

ـــ تعلق الموضوع بحاجة الناس، وذلك لفقدان تحمل المسؤولية من المجتمع، واضطراب الأوضاع .

لذلك وغيره، فقد رغبت أن أقف عند آيات نرجع فيها إلى قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

وقد قسمت الموضوع بعد المقدمة إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف التخلي عن المسؤولية الدينية، وفيه مطلبان :.

(١) الصافات :٢٤ .

المطلب الأول: تعريف التخلي لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: تعريف المسؤولية الدينية لغة واصطلاحاً

أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان نماذج من التخلي عن المسؤولية الدينية في القرآن الكريم وقد اشتمل على ثلاثة مطالب، وهي كالآتي :.

المطلب الأول: الإيمان .

المطلب الثاني: الجهاد.

المطلب الثالث: الإنفاق .

أما المبحث الثالث فقد خصصته للحديث عن أسباب التخلي عن المسؤولية الدينية وسبل علاجها .

وجاء المبحث الرابع بعنوان آثار التخلي عن المسؤولية الدينية

ثم أنهيت البحث بخاتمة، بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وأصحابه أجمعين.

المبحث الأول:

تعريف التخلي عن المسؤولية الدينية

اعتادَ الباحثون أن يقدموا لبحوثِهم بدراسةِ العنوانِ في اللغة والاصطلاح، وجرياً وراء هذا الاعتياد جاء هذا المبحث في تعريف التخلي عن المسؤولية الدينية، ويتضمَّن مطلبين :

المطلب الأول: تعريف التخلي لغة واصطلاحاً

أ ـ لغة: تخلَّى من يتخلّى، تخلَّى، تَخَلّيًا، فهو مُتخلٍّ، والمفعول مُتخلَّى عنه، يقال تخلَّى عن الشَّيء وتخلَّى من الشَّيء: أي زهد فيه وتركه وهجره وابتعد عنه، وتخلَّى عن الدنيا: أي عن منصبه، قراره، موقفه، ولا تتخلَّ عن صديقك في وقت الشدة: أي لا تَخْذُلْه أو تتركْه لمصيره.

وتخلَّى عن الحقّ: (القانون) نزل عنه ،وتَخَلَّى عن حقِّه في ملكيّة الدار لأخيه :أي تخلَّى عن نصيبه في التركة، وتخلَّى لكذا: تفرّغ له، وانقطع له، وخلَّى الشَّيءَ: أرسله وأطلقه، وخلَّى الأمرَ أو المكانَ: تركه.(١)

ب ـ اصطلاحاً: تطهير النفس من رذائل الأخلاق كالحسد والرياء والكبر والعجب وحب الدنيا وغيرها من الرذائل التي يذكرها علماء الأخلاق (٢)

يتضح لنا مما تقدم أن التخلي هو ترك النفس لكل قبيح من الأفعال التي تؤدي الى المعاصي والآثام .

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د.ت.ط)، ١/ ٢٥٤ مادة (تخلى) ،ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ،١/ ٦٩٢ مادة (خلو) .

(٢) ينظر: روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت، (د.ت.ط)، ٥/ ٢٠٧، والتصوف الإسلامي د . قاسم غني ترجمة صادق، (د.ت.ط)، ١٤٢ .

المطلب الثاني: تعريف المسؤولية الدينية لغة واصطلاحاً

أ ــ المسؤولية

لغة: مصدر صناعيّ[1] مأخوذ من مادّة (سأل) الّتي تدلّ على استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد أو بردّ، والسّؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتّبكيت كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾[2] والسّؤال إذا كان للتّعريف تعدّى إلى المفعول الثّاني تارة بنفسه وتارة بالجارّ، تقول سألته كذا، وسألته عن كذا وبكذا، والأكثر «عن»، وإذا كان السّؤال لاستدعاء مال فإنّه يتعدّى بنفسه أو بمن، كقوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[3] وقوله عزّ من قائل: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[4][5]

وسألته الشّيء، وسألته عن الشّيء سؤالاً، ومسألة والأمر منه اسأل، وقد تخفّف همزته

---

(١) معنى المصدر الصناعي: اسم تلحقُهُ ياءُ النسبة مُردَفةً بالتاء للدلالة على صِفَةٍ فيه كالخصوصية والفروسية والطفولية أَو من أَسمَاء الْأَعْيَان، كالصخرية والخشبية وَقد يُؤْخَذ من المشتقات كالقابلية والمسؤولية وَالْحريَّة أَو من أَدَاة من أدوات الْكَلَام كالكمية والكيفية والماهية.
ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ) ،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط ٢٨، ١٩٩٣ م، ١/ ١٧٧ ،والمعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى وآخرون ،١/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦ مادة (صنع) .

(٢) التكوير: ٨ .

(٣) الأحزاب: من الآية ٥٣.

(٤) النساء: من الآية ٣٢ .

(٥) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ،تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، (د.ت.ط) ،٢٥٠ مادة (سأل) .

فيقال: سال، والأمر منه سل، ورجل سؤلة: كثير السّؤال، وتساءلوا:

سأل بعضهم بعضا، وأسألته سؤلته ومسألته، أي قضيت حاجته[1]، وقول الله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] وسؤالهم سؤال توبيخ وتقرير، لإيجاب الحجّة عليهم لأنّ الله- جلّ ثناؤه- عالم بأعمالهم. أمّا قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] أي لا يسأل ليعلم ذلك منه، لأنّ الله تعالى قد علم أعمالهم[4]

مما تقدم فإن المسؤولية لغة مشتقة من (سأل) وهي استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال.

اصطلاحاً: هي «كون الفرد مكلّفا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدّم عنها حساباً إلى زيد من الناس»[5]

ومنهم من عرفها بأنها: الشّعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل وليست المسئوليّة مجرّد الإقرار فإنّ الجزم بالشّيء لا يعطي صفة المسؤوليّة وإنّما يجد المتحسّس بها أنّ هناك واجبات لا بدّ من الانقياد إليها بغضّ النّظر عن النّتائج، فإنّ إنقاذ الغريق ممّا يشعر الشّخص بالمسئوليّة في إنقاذه إذا كانت له القدرة على الإنقاذ وإنّ دفع الظّلم ممّن له

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٥/ ١٧٢٣ مادة (سأل)، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ، ١١/ ٣١٨ مادة (سأل) .

(٢) الصافات :٢٤.

(٣) الرحمن :٣٩ .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب – بيروت ،ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ٣/ ٧٨ .

(٥) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ_١٩٩٨م ،١٣٦

القدرة على دفع الظّلم يجب على ذلك الشّخص أن يدفع عن المظلوم وهو مسؤول عن التّرك [1]

وعرفها آخر «بتحمل الإنسان نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختاراً وهو مدرك لمعانيها ونتائجها» [2]

وينتج مما تقدم أنّ فكرة المسؤوليّة تشتمل على علاقة وثيقة من ناحية الفرد المسؤول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، فهي القدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولاً والوفاء بالتزاماته بمجهوده الخاص .

وهي إلزام النفس والوفاء بهذا الالتزام، والشخص الذي يشعر بالمسؤولية شخص إيجابي عملي، فالشعور بالمسؤولية ينمو ويقوى من خلال العمل والإنجاز.

ب – الدينية :

الدين لغة: الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها، وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل[3] وله معان واستعمالات كثيرة في اللغة منها[4]:

(١) ينظر: علم الأخلاق، النظرية والتطبيق، محمد الخاقاني، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٧ م، ١٤١ .

(٢) ينظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي ــ بيروت ،(د.ت.ط) ،١/ ٣٩٢ .

(٣) مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ،٢/ ٣١٩ مادة (دين) .

(٤) ينظر: المصدر نفسه ،٢/ ٣١٩ – ٣٢٠ مادة (دين)، ولسان العرب، ابن منظور،١٣/ ١٦٧ ــ ١٧١ مادة (دين)، و تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت.ط)، ٣٥/ ٥٢ ــ ٦١ مادة (دين)، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه:

- التوحيد : قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]

- الجزاء والمكافاة والحساب: قال تعالى﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[3]

- الملكة وَالسُّلْطَان والحكم: يُقَال: دنت الْقَوْم أدينهم، أَي: قهرتهم وأذللتهم فدانوا، أَي: ذلوا وخضعوا، وقوله تعالى في سورة يوسف ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾[4]

- الإسلام: قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾[5]

- الطاعة: قال تعالى ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾[6]

- العادة: قال تعالى ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ ﴾[7]

- الملة: قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[8]، أَي: وَذَلِكَ دين الْمِلَّة المستقيمة.

- الحدود: قال تعالى ﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾[9]

محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ٢١٧ ــ ٢١٨، و نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ٢٩٧ ــ ٢٩٨ .

(١) البينة: من الآية ٥ .

(٢) الفاتحة :٤ .

(٣) الصافات :من الآية ٥٣ .

(٤) يوسف: من الآية ٧٦ .

(٥) التوبة: من الآية ٣٣ .

(٦) التوبة: من الآية ٢٩ .

(٧) الحجرات: من الآية ١٦ .

(٨) البينة: من الآية ٥ .

(٩) النور: من الآية ٢ .

– العدد: قال تعالى ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ ﴾[1] أي العدد الصحيح.

وهذه المعاني اللغوية التي ذكرناها موجودة في المعنى الاصطلاحي للدين كما سيتبين لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

الدين اصطلاحا: اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً إذ عرفه كلٌّ حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين، لذلك سنقتصر على تعريف الدين عند الإسلاميين فقط .

فمنهم من عرفه بأنه «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل. وهذا يشتمل العقائد والأعمال»[2] وهذا التعريف لا يشمل إلا الديانات السماوية، فيخرج بهذا التعريف جميع الديانات الوضعية، وأيضاً لا يدخل في هذا التعريف إلا الديانات التي تتضمن نظم تشريعية وطقوس تعبدية، أما الديانات الوضعية أو الديانات المحرفة فنظمها التشريعية لا تشمل جوانب الحياة ولا سيما في العلاقات بين الأفراد، وما وجد منها فلا يشمل جميع الجوانب.

ومنهم من ذكر أن الدين « نظام للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا لكائن ما، ثم يقبل طاعته وأتباعه ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه، ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذل والخزي وسوء العقاب»[3]

---

(١) التوبة: من الآية ٣٦ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ١/ ٨١٤ مادة (الدين) .

(٣) المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي(ت: ١٣٩٩هـ) (د.ت.ط)، ٧٨ .

وهذا التعريف أقرب للنظام والتشريع من الدين، فقوله في التعريف» نظام للحياة ... لا يشمل الاعتقاد، وكذلك هذا في الناحية العملية فقط.

ثم قوله في آخر التعريف» ويرجو في طاعته العزة والترقي... ويخشى في عصيانه الذل والخزي». هذا لا يشمل كل الديانات فمن الديانات الهندية من يعبد أفرادها آلهتهم خشية دون الرغبة و وهناك العكس أيضاً[1]

ومنهم من ذكر بأن أدق تعريف للدين هو: «اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة»[2] وهذا التعريف فيه شمول للمعبود سواء أكان معبوداً حقاً، وهو الله عز وجل، أم معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله عز وجل، كما يشمل أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء أكانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيه التحريف والنسخ كاليهودية والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوسية، والبوذية، والوثنية وعموم الوثنيات.

كما يبرز التعريف حال العابد إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك من أهم معاني العبادة.

ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً؛ لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة[3]

فالمسؤولية الدينية نعني بها: التزام المرء بأوامر الله واجتناب نواهيه، وقبوله في حال

(١) ينظر: الأديان القديمة في الشرق، رؤوف شلبي، (د.ت.ط)، ٣٢ .

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ١٠ - ١١ .

المخالفة لعقوبتها[1]

مما تقدم يمكن تعريف التخلي عن المسؤولية الدينية بأنه : شعور المرء بأنه غير ملزَم بعواقب أعماله[2]، بمعنى التّبرّؤ من الالتزام بما يتحمله الإنسان من مسؤوليّة و الخروج من ذلك تدريجياً.

ولزيادة الإيضاح نستشهد بحديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن المسؤولية حتى نعلم عواقب التخلي عنها، ففي الحديث الشريف (كلكم راع فمسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[3] فالخطاب للأمة جميعاً يبين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل إنسان راع ومسؤول عن رعيته، والراعي هو الذي يقوم على الشيء ويرعى مصالحة فيهيئها له، ويرعى مفاسده فيجنبه إياها، هكذا بنو آدم كل إنسان راع، وكل مسؤول عن رعيته، فالأمير راع ومسؤول عن رعيته، والأمراء يختلفون في نفوذهم وفي مناطق أعمالهم، والرعاة تتنوع رعيتهم أو تتنوع رعايتهم ما بين مسؤولية كبيرة واسعة، ومسؤولية صغيرة، والرجل راع لكن رعيته محصورة؛ هو راع في أهل بيته، ومسؤول عن رعيته، يجب عليه أن يرعاهم أحسن رعاية؛ لأنه مسؤول

(١) ينظر: المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، د. أحمد سيد عثمان، القاهرة، (د.ت.ط)، ٢٦٩ .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ١٠٢٠ مادة (سأل) .

(٣) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة ـــ بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م، كتاب (العتق) باب (كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي) برقم (٢٤١٦)، ٢/ ٩٠١، وصحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الآفاق الجديدة بيروت، (د.ت.ط)، كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر) برقم (٤٨٢٨)، ٦ / ٧ .

عنهم، كذلك المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، مسؤولة عن كل ما في البيت، مسؤولة أيضاً عن أولادها في إصلاحهم وإصلاح أحوالهم وشؤونهم، كذلك العبد مسؤول وراع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته، يجب عليه أن يحفظ مال سيده، وأن يتصرف فيه بما هو أحسن، وألا يفرط فيه، وألا يتعدى الحدود وهكذا، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته[1].

علاوة على أن كل الأصناف المذكورة في الحديث الشريف لو تخلت عن مسؤوليتها، فماذا ستكون النتيجة والعواقب، بالتأكيد ستكون وخيمة، فمسؤولية الأمير تحقيق العدل بين الرعية، فضلاً عن تحقيق مطالب الناس ورعاية حقوقهم، فكيف إذا تخلى عن ذلك، بالتأكيد سينتشر الظلم والفساد في المجتمع، والرجل إذا تخلى عن مسؤوليته في رعاية أهل بيته فماذا سيكون مصير ذلك البيت وأهله، و المرأة هي الأخرى معنية بذلك فكيف إذا تخلت مسؤوليتها التي من ضمنها تربية الأولاد وإصلاحهم، هل سينشئ الأولاد نشأة صحيحة بسبب ذلك، وماذا سيكون مصيرهم كذلك العبد إذا تخلى عن مسؤوليته التي من ضمنها حفظ ورعاية مال سيده، فإنه قد خان سيده، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)[2]

فلو كل هذا حدث ماذا ستكون النتائج والعواقب، فالتخلي عن المسؤولية الدينية

---

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت.ط) ٦/ ١٨٩ – ١٩١ .

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم الدارمي البستي(ت ٣٥٤ هـ)، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، كتاب (الإيمان) باب (فرض الإيمان) (ذِكْرُ خَبَرٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ نَفْيُ الْأَمْرِ عَنِ الشَّيْءِ لِلنَّقْصِ عَنِ الْكَمَالِ)، برقم (١٩٤) ،١/ ٤٢٢ قَال شعيب الأرنؤوط «إسناده حسن» .

يتنافى مع حمل الأمانة الّتي شرّف الله بها الإنسان، وهذا ما سأبينه في صفحات هذا البحث من خلال المطالب القادمة .

المبحث الثاني:

نماذج من التخلي عن المسؤولية الدينية في القرآن الكريم

إذا عرضت آيات القرآن الكريم وجدت الكثير منها تشير إلى معنى التخلي عن المسؤولية الدينية وعاقبتها في الدنيا والآخرة، فقد جاءت الآيات تناقش المتخلين عن المسؤولية وتقيم عليهم الحجج الواضحة والأدلة الدامغة والبراهين القاطعة، لذلك سأقتصر على الآيات التي تتحدث عن التخلي عن الإيمان و الجهاد و الإنفاق، لحاجتنا إلى الإيمان والجهاد والإنفاق في وقتنا الحاضر .

المطلب الأول: الإيمان

الإيمان لغة: ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ،وضده التكذيب، والتصديق كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[1] وقال بعض أهل العلم :أن (المؤمن) في صفات الله تعالى هو أن يصدق ما وعد عبده من الثواب ،وهذا من الأمانة وهي ضد الخيانة وقال آخرون :هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم ،وهذا معناه سكون القلب واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، والإيمان مصدر(آمن)،وأصل (آمن) من(أأمن) بهمزتين ليِّنت الثانية، ومنه (المهيمن) وأصله(مؤامن) ليِّنت الثانية وقلبت الأولى هاء والثانية ياء لتسهيلها على النطق وضد الأمن الخوف.[2]

---

(١) يوسف: من الآية ١٧.

(٢) ينظر: الصحاح :٥/ ٢٠٧١ مادة (أمن)، ومقاييس اللغة،١/ ١٣٣ – ١٣٤ مادة (أمن)، و مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦هـ)، ط ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، دار الكتاب

وذهب آخرون إلى أن الإيمان لغة هو التصديق الذي معه أمن وطمأنينة[1]

وهنا يتبين أن الإيمان في اللغة هو التصديق الذي يكون محله القلب .

الإيمان في الاصطلاح الشرعي :

اختلف أهل الفرق والمذاهب في بيان الإيمان على أقوال كثيرة، نذكر منها ما هو أقرب للصواب دون ذكر الأدلة خشية الإطالة، وهذه الأقوال هي[2]:

القول الأول: أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

القول الثاني: أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان دون غيرهما من الجوارح .

القول الثالث: أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط .

والخلاصة: من خلال عرض هذه الأقوال في الإيمان يتضح ما يأتي :

العربي/ بيروت – لبنان، ٢٦ مادة (أمن)، ولسان العرب ١٣/ ٢١ – ٢٣ مادة (أمن) .

(١) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، الشيخ سعد الدين التفتازاني، ط١، ١٤٠١هـ، دار المعارف – النعمان – باكستان،٢/ ١٢٢، و مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)،ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، دار الفكر، بيروت – لبنان:١/ ٥٠ كتاب (الإيمان) .

(٢) ينظر: شرح العقائد النسفية: الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تح: محمد عدنان درويش،(د.ت)مكتبة دار البيروتي ،١٨٩ ـ ١٩٥، و شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي(ت ٧٩٢ه)،تح: عبد الله عبد المحسن التركي، شعيب الارنؤوط، (د.ت.ط)، مؤسسة الرسالة :٢/ ٤٥٩ – ٤٦٠، و المسامرة بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي الشافعي (ت٩٠٦هـ)، تح: صلاح الدين الحمصي، ط١٤٣٠،١هـ – ٢٠٠٩م ، ٤٦٩ – ٤٧٢، و شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، عبد الملك عبد الرحمن السعدي، (د.ت.ط)، العراق ــ الرمادي، ١٦٥، و العقيدة الإسلامية ومذاهبها، قحطان الدوري، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، كتاب ناشرون / بيروت ــ لبنان، ٢٤٢ – ٢٥١.

١ـ هذه الأقوال الثلاثة هي المُعول عليها اليوم في المذاهب الإسلامية، ولها أَتباع فهي تمثل السواد الأعظم من علماء الأمة وأتباعهم .

٢ـ جميع العلماء يتفقون على أن الإيمان هو تصديق القلب لكنهم اختلفوا في إطلاق اسم الإيمان على الإقرار باللسان وعلى العمل بالأركان.

والذي أراه أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] ولا يكون التصديق إلا بالعمل وتزداد قلوبهم إيماناً إذا ذكروا الله سبحانه وتلوا القرآن الكريم .

فليس الإقرار فقط هو الإيمان وليس عمل البر فقط هو الإيمان، ولكن إذا اجتمع إقرار القلب وعمل الجوارح وقول اللسان فهذا هو الإيمان وهو التصديق.

ومن الآيات التي أشارت بالمعنى إلى التخلي عن المسؤولية الدينية في قضية الإيمان:

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[4]

في الناس فطرة تدعوهم إلى الإيمان بالله، حيث يهتدّون بهذه الفطرة إلى التعرّف على الله تعالى، وإفراده بالألوهية، ولكن هذه الفطرة تتعرض لآفات كثيرة، فيصيبها الفساد

(١) الأنفال: من الآية ٢ .
(٢) التوبة: من الآية ١٢٤ .
(٣) الزمر: الآية ٣٣ .
(٤) الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣ .

والعطب، فتتعطل منها القوى المدركة لآلاء الله تعالى، فيكون الضلال والتّيه في عوالم الشرك والكفر..

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أنه أخذ أي أخرج من أبناء آدم، أي من ظهورهم ذريتهم، وأنه- سبحانه- أشهدهم على أنفسهم، - أليس الله سبحانه وتعالى هو ربكم وخالقكم؟ فشهدوا جميعا وقالوا: بلى أنت ربّنا وخالقنا، وهذه الشهادة إقرار سابق بولائنا جميعاً لله، وإيماننا بوحدانيته.

وإن من شأن هذا الإقرار أن نقيم وجوهنا إلى الله، بعد أن نلبس هذه الأجساد التي نعيش فيها.. فهذا الإقرار رصيد من الإيمان نستقبل به الحياة، ونتلاقى به على طريق الإيمان مع دعوة العقل الذي أوجده الله فينا، ومع دعوة الرسل الذين أرسلهم الله إلينا.. ولهذا جاء قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾[1] أي ليقطع عليكم العذر أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن الإيمان بالله والتعرف عليه غافلين، فذلك عذر غير مقبول.. إذ كيف تغفلون وفيكم داع يدعوكم إلى الإيمان بالله، وهى تلك الفطرة التي أشهدها الله عليكم.. ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2] وهذا العذر أيضاً غير مقبول منكم، فلا يحمل عنكم تبعة شرككم بالله شرك آبائكم من قبلكم، إذ كنتم ومعكم فطرتكم، وكنتم ومعكم عقولكم، ثم كنتم ومعكم دعوة الرسل الذين يدعونكم إلى الله! فإذا أهلككم الله فإنما يهلككم بأفعالكم لا بأفعال آبائكم[3]

(١) الأعراف: من الآية ١٧٢.

(٢) الأعراف: من الآية ١٧٣ .

(٣) ينظر :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣- ١٤٠٧

فالله تعالى خلق البشر وأقرهم بأنه ربهم وأنه واحد لا شريك له، فلا عذر للإنسان بتخلق الأعذار لكي يجهل بخالقه، ويتبرأ منه، ويفعل الفواحش والمعاصي التي تنفر منها الطباع وتدرك ضررها العقول، فقد رأى الدلائل الواضحة على معرفة الله تعالى و وحدانيته، فقد أرسل الله تعالى الرسل (عليهم السلام) ينبهوهم إلى توحيد الله تعالى .

فالله تعالى أنزل إلينا القرآن الكريم لنتدبر آياته ولنستخلص منه الموعظة والعبرة لكي نرجع إلى الحق ونعرض عن الباطل مهما كانت أشكاله، فلا حجة للتخلي عن مسؤوليتنا وتقليد الآباء والأجداد في أصول العقيدة والدين .

المطلب الثاني: الجهاد

الجهاد لغة: الجهاد مثل المجاهدة مصدر قولهم جاهد يجاهد، وذلك مأخوذ من مادّة (ج هـ د) الّتي تدلّ في الأصل على المشقّة، ثمّ يحمل على هذا الأصل ما يقاربه، ومصدر الثلاثيّ من ذلك قولهم: جهد (بالفتح)، وجهد (بالضّمّ) وكلاهما يعني إمّا: الوسع والطّاقة أو التعب والمشقّة، ومن ثمّ يكون الاختلاف بين الفتح والضّمّ راجعاً إلى اختلاف اللهجات، فهو بالضّمّ لغة أهل الحجاز، وبالفتح في لغة غيرهم، وقال بعض اللّغويّين: إنّ الجهد بالفتح المشقّة، وبالضّمّ الوسع والطّاقة، ومن الجهد بمعنى المشقّة قولهم جهد دابّته وأجهدها إذا حمل عليها في السّير فوق طاقتها، ومن المشقّة أيضاً: جهد الرّجل فهو مجهود، يقال أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً، وجهد عيشهم بالكسر أي نكد واشتدّ.

هـ: ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان –، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٦، والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت.ط): ٥/ ٥١٤ ـ ٥١٦.

ومن الجهد بمعنى الطّاقة قوله- عزّ وجلّ- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾[1] أي طاقتهم، والجهد في هذه الآية الطّاقة، تقول هذا جهدي أي طاقتي.

والاجتهاد: أخذ النّفس ببذل الطّاقة وتحمّل المشقّة، يقال جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر، وجاهد العدوّ مجاهدة وجهاداً: قاتله، والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قول أو فعل[2]

الجهاد اصطلاحاً: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدوّ[3]، ومن العلماء من عرف الجهاد بأنه « الدّعاء إلى الدّين الحقّ»[4]

وقد جمع ابن حجر العسقلاني[5] بين هذين النّوعين من الجهاد وأضاف غيرهما فقال

---

(١) التوبة: من الآية ٧٩ .

(٢) ينظر: الصحاح ،٢/ ٤٦٠ مادة (جهد)، ومقاييس اللغة، ١/ ٤٨٦ - ٤٨٧ (مادة جهد)، والمفردات، ١٠١ مادة (جهد)، ولسان العرب، ٣/ ١٣٣ - ١٣٥ مادة (جهد)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت ،(د.ت.ط)، ١/ ١١٢ مادة (جهد) .

(٣) ينظر: المفردات ،١٠١ مادة (جهد).

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ،٨٠ مادة (الجهاد).

(٥) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م). شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة ،عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة، قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبا زرعة، ثم الهيثمي، كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل ،أما تصانيفه فكثيرة جداً منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة؛ تهذيب التهذيب؛ تقريب التهذيب في أسماء

«الجهاد بذل الجهد في قتال الكفّار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النّفس والشّيطان والفسّاق والكفّار. فأمّا مجاهدة النّفس، فعلى تعلّم أمور الدّين ثمّ على العمل بها ثمّ على تعليمها، وأمّا مجاهدة الشّيطان، فعلى دفع ما يأتي به من الشّبهات وما يزيّنه من الشّهوات، وأمّا مجاهدة الكفّار، فتقع باليد والمال واللّسان والقلب، وأمّا مجاهدة الفسّاق، فباليد ثمّ اللّسان، ثمّ القلب»[1].

ومن هنا يتفق المعنيان اللغوي والاصطلاحي للفظة الجهاد بأنها بذل الجهد والوسع والطاقة والمشقة .

ومن الآيات التي أشارت بالمعنى إلى التخلي عن المسؤولية الدينية في قضية الجهاد في سبيل الله، قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا

رجال الحديث؛ لسان الميزان؛ أسباب النزول؛ تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة؛ بلوغ المرام من أدلة الأحكام؛ تبصير المنتبه في تحرير المشتبه؛ إتحاف المهرة بأطراف العشرة؛ طبقات المدلسين؛ القول المسدّد في الذّب عن مسند الإمام أحمد وغيرها كثير، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تح :د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط١، ١٤٠٠ه – ١٩٨٠ م ١/ ٦٦ ــ ٦٧، و كنوز الذهب في تاريخ حلب، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي (ت: ٨٨٤هـ)، دار القلم، حلب ،ط١، ١٤١٧ هـ،١/ ٢٨، ونظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)
المحقق: فيليب حتي، المكتبة العلمية – بيروت، ٤٥ – ٥٣، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١/ ١٧٨ ــ ١٧٩ .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ط ١٣٧٩هـ، ٦/ ٣ .

كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[1]

فالآية الكريمة تتحدث عن بني إسرائيل من بعد موسى (عليه السلام) بعد ما ضاع ملكهم، ونهبت مقدساتهم، وذلوا لأعدائهم، وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدْي ربهم، وتعاليم نبيهم.. ثم انتفضت نفوسهم انتفاضة جديدة واشتاقوا القتال في سبيل الله تعالى .

ويعني تعالى ذكره :ألم تر يا محمد (صلى الله عليه وسلم) بخبري إياك إلى وجوه بني إسرائيل وأشرافهم ورؤسائهم من بعد موسى (عليه السلام) ،إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله تعالى ضد الأعداء، فقال لهم نبيهم ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ﴾ أي: إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك فهل تفون بما التزمتم من القتال معه، ولا تتخلون عن ذلك، فقال الملأ لذلك النبي وأي شيء لنا في ترك القتال؟ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بالسبي والقهر على نواحينا، والمعنى: أنهم أجابوا نبيهم بأن قالوا: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذ بلغ الأمر هذا فلا بد من الجهاد، فلما فرض عليهم الجهاد، أعرضوا عن القيام به، وما وفوا بما وعدوا بل نكلوا و تخلو عن الجهاد في سبيل الله تعالى باستثناء عدد قليل منهم وهم الذين عبروا النهر والله عليم بالظالمين... الخ القصة[2].

---

(١) البقرة :٢٤٦ .

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م: ١/ ٣٥٧، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩

صحيح إن من صفات بني إسرائيل نقض العهد والنكث بالوعد والتخلي عن المسؤولية والنكوص عن التكليف وتفرق الكلمة وغيرها من الصفات، إلا أنه اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع الفائر في نفوس الجماعات ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول.. فإن كثرة بني إسرائيل هؤلاء قد تخلوا من مسؤولياتهم بمجرد أن كتب عليهم القتال استجابة لطلبهم، ولم تبق إلا قلة مستمسكة بعهدها و مسؤوليتها مع نبيها[1] وكان نتيجة التخلي عن مسؤولية الجهاد أن وصفهم الله بالظالمين فقد ظلموا أنفسهم ونبيهم وعصوا أمر الله تعالى حينما نكصوا عن القتال في سبيله، وعرفوا الحق وتخلوا عنه، و قالوا بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وأعجبتهم ملذات الحياة الدنيا ورضوا بالذل والهوان في عيشهم وخذلوا أخوتهم بعدم معاونتهم، وهكذا هي الأمم الميتة تتخلى عن مسؤوليتها في أصعب الظروف والأوقات، فلا بد لنا من تحمل المسؤولية والعزم والثبات عليها، وعدم التخلي عنها والضعف وخلق الأعذار عند مواجهة الأعداء، بل نكون ثابتين ويكون قدوتنا في ذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم حينما قالوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم « لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؟!»[2] فالجهاد في سبيل الله مقوم أساسي من مقومات الدين الإسلامي، وهو جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام.

هـ :١/ ٥٠٥ – ٥٠٦، وفي ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) ،دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ: ١/ ٢٦٢.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ،١/ ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ٣١٠ .

المطلب الثالث: الإنفاق

الإنفاق لغة: مصدر أنفق، يقال: أنفق ينفق إنفاقاً فهو منفق، وتدور هذه المادّة حول معنيين أحدهما يدلّ على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، وصفة الإنفاق إنّما هي من المعنى الأوّل، يقال نفق الشّيء: فني، وأنفق الرّجل افتقر أي ذهب ما عنده، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[1] والنّفقة ما أنفقت، واستنفقت على العيال وعلى نفسك، والنّفقة أيضاً: ما أنفق، والجمع نفاق (بالكسر)، ونفقات، ورجل منفاق أي كثير النّفقة، والنّفقة من الإنفاق وهو الإخراج، وهي الدّراهم ونحوها من الأموال[2]

الإنفاق اصطلاحاً: إخراج المال الطّيّب في الطّاعات والمباحات، أي التوسط فيها[3] أي مَا بِهَا قَوَّامٌ مُعْتَادٌ حَال الآْدَمِيِّ دُونَ سَرَفٍ[4] مما تقدم تتضح العلاقة الوثيقة للمعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة الإنفاق بأنها إخراج المال .

ومن الآيات التي أشارت بالمعنى إلى التخلي عن المسؤولية الدينية في قضية الإنفاق، قوله تعالى ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾[5]

(١) الإسراء: من الآية ١٠٠ .

(٢) ينظر: الصحاح، ٤/ ١٥٦٠ مادة (نفق)، ومقاييس اللغة، ٥/ ٤٥٤ – ٤٥٥ مادة (نفق)، ولسان العرب، ١٠ / ٣٥٧ – ٣٥٨ مادة (نفق)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ،٣/ ١١٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/ ٤٩٨ .

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت،(د.ت.ط)، ٤١/ ٣٤ مادة (نفقة) .

(٥) المنافقون :٧ .

الآية الكريمة تتحدث عن المنافقين ومنهم ابن سلول ومن وافقه من قومه، فالله تعالى سفه أحلامهم في أنهم ظنوا أن رزق المهاجرين بأيديهم، وما علموا أن ذلك بيد الله تعالى.

ومرادهم بمن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: المهاجرون الذين تركوا ديارهم في مكة، واستقروا بالمدينة، أي إن هؤلاء المنافقين لن يغفر اللّه تعالى لهم لأنهم فسقوا عن أمره، ومن مظاهر فسوقهم وفجورهم، أنهم أيدوا زعيمهم في النفاق عند ما قال لهم: لا تنفقوا على من عند رسول اللّه من فقراء المهاجرين، ولا تقدموا لأحد منهم عوناً أو مساعدة، حتى ينفضوا من حوله، أي حتى يتفرقوا من حوله، وليس مرادهم حتى ينفضوا ويتفرقوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فأنفقوا عليهم، وإنما مرادهم استمروا على عدم مساعدتكم لهم، حتى يتركوا المدينة، وتكون مسكناً لكم وحدكم . ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي أنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين وغيرهم، لأن خزائن الرزق له، فيعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء ما شاء، لا بأيديهم، وهذا رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء من حوله، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ ذلك، ولا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله عز وجل، وأنه الباسط القابض، المعطي المانع[1] فالآية الكريمة تصور لنا تخاذل المنافقين وتخليهم عن مسؤولياتهم في مساعدة الفقراء والمحتاجين، فالفقراء والمحتاجون من المهاجرين تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم لنصرة دين الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فمن الواجب الإنفاق

(١) ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية لبنان، ط١٤٢٢،١ هـ - ٢٠٠١ م، ٨/ ٢٧٠، وفتح البيان في مقاصد القرآن ،أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ١٤/ ١٥١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي،(د.ت.ط)، ١٤/ ٤١٠ .

عليهم، كما أن النفقة عليهم لن يضيع الله أجرها، فالله تعالى يجازي عليها أضعافاً مضاعفة، قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1] فالقضية إيمانية، لأن الذي لا ينفق في سبيل الله تعالى، ويتحكم في أرزاق المؤمنين، فهو في الوقت نفسه يحارب الدعوة إلى الله تعالى ،وينسى أن الله تعالى بيد الأرزاق، فمن خزائن الله تعالى يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين .

وما أكثر الفقراء والمحتاجين والضعفاء في مجتمعاتنا الإسلامية، وما نراه اليوم في بعض البلاد الإسلامية مثل بورما وأفريقيا الوسطى وغيرها، فالمسلمون هنالك يقتلون ويحرقون ويُمثل بجثثهم، ولا ذنب لهم إلا أنهم مسلمون، فماذا فعلنا وماذا قدمنا لهم، لذلك ينبغي لنا أن نتحمل مسؤوليتنا كمسلمين، نساعدهم ونعينهم في محنتهم، في المجالات كافة، وأن تكون لنا وقفة نحن – المسلمين – ضد من يقوم بهذه الأعمال، حتى نكون كما وصفنا القرآن الكريم بقوله تعالى﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2]

وهذه الأخلاق التي جاء بها الإسلام ذات الصنيع الجليل القدر لا تستوعبها إلا نفوس امتلأت حقاً بالإيمان الصحيح الجاد القوي، ومن هنا كان مفهوم المسؤولية شاملاً وواسعاً لكافة المجالات الدينية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، فنحن مأمورون بالالتزام بها وعدم التخلي عنها، ولاسيما أننا نعاني اليوم هجمات شرسة على الإسلام والمسلمين فينبغي لكل فرد منا أن يلتزم مسؤوليته ويؤديها على الوجه المطلوب.

(١) البقرة :٢٦١ .

(٢) آل عمران: من الآية ١١٠ .

المبحث الثالث:

أسباب التخلي عن المسؤولية الدينية وسبل علاجها

ويمكن أن نجمل الأسباب فيما يأتي[1]

١ ـ الاتكال على الآخرين، وعدم الثقة بالنفس، فكل واحد منا مسؤول مسؤولية مباشرة عن كثير مما وقعت فيه الأمة في الحاضر من تخلف مادي وفكري، ولكننا نتكل على بعضنا في تغيير هذا الواقع، فالعامة يلقون بالمسؤولية على النخبة والعلماء، والعلماء يلقون باللائمة على الحكام، والحقيقة أن كلاً له مسؤوليته التي يلزمه القيام بها.

٢ – حالات التراجع والإنكفاء التي تحصل للكثيرين وذلك بعد أن يتحملوا بعض المسؤوليات، ويصطدموا ببعض المتاعب التي لم يحسبوا حسابها من قبل .

٣ – حالات الانفلات والتسيب والتقصير التي قد تحصل من بعض الجهات، فعدم وجود المحاسبة الجادة في كثير من المرافق والمؤسسات، فمن الناس من لا رقيب عليه من داخله ولا ضمير يؤنبه إذا تخلى عن مسؤولياته الموكلة له، فلا بد من وجود المحاسبة الخارجية من رؤسائه ومديريه، ومتى وجدت هذه المحاسبة اضطر المتسكع للقيام بمسؤولياته الوظيفية على أتم وجه وأكمله.

٤ – ضعف الوازع الديني: فمن عَمُرَ الإيمان قلبه، وتمكنت مراقبة الله من نفسه، علم أنه غداً موقوف أمام الله تعالى وسيسأله عما كلفه من تكاليف، ولا نجاة له إلا بالقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وأداء الأمانات المؤتمن عليها، والوفاء بما يجب عليه من الواجبات، فيكون المعين الأول له خوفه من الله تعالى وسعيه في مرضاته.

---

(١) ينظر: نحن المسؤولون، سلمان بن فهد العودة، (د.ت.ط) ،٥ – ٣٣، و المسؤولية، مقالة لمروان محمد أبو بكر (http: / /www.alukah.net /culture / ٠ / ٧٩٤٢)، شبكة الألوكة / ثقافة ومعرفة / فكر، أضيفت بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٩ م .

٥ – ضعف الهمة: إن مسؤوليات يسيرة يعجز عنها كثير من الغلاظ الشداد، وما ذلك إلا لأن الهمم قد ماتت والعزائم قد خارت، فتجد الصغار وقد اجتازوا العقبات وحققوا النجاحات وتحملوا المسؤوليات، وغيرهم ممن أوتي أكثر مما أوتوا يقوى على أكثر مما تحملوا وقد خذله الكسل الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم.

فتعليم الطفل منذ صغره تحمل ما يستطيع من المهام، والقيام بما يجب عليه من واجبات مدرسية أمر له بالغ الأثر في شخصيته، ومن الأخطاء الشائعة قيام بعض أولياء الأمور بحل الواجبات الدراسية لأبنائهم، مما يدفعهم للتسيب ويبعدهم عن الاستعداد لتحمل المسؤوليات في كبرهم.

٧ – الإحباط: من أبرز أسباب القعود عن العمل وترك المهام والتقصير في المسؤوليات، وما جنى محبط غير الخسران والإخفاق، والتفاؤل هو روح الإنجاز، فالمسؤوليات لا يقوى عليها المحبطون لأن نظراتهم المتشائمة تمثل حجابا يمنعهم من الإقدام ويحجبهم عن التقدم وإنجاز ما هو من واجباتهم.

٨ ــ عدم وضوح الرؤية، فكثير من الناس لا يعرف المسؤوليات الموكلة له أصلاً حتى يقوم بها، فمن الآباء من يظن أن مسؤوليته تجاه أولاده تنتهي بتوفير المأكل والمشرب والمسكن، وأن التوجيه والإرشاد ليس من مهمته ولا مسؤوليته، وكثير من المسلمين لا يعرف أن عليه مسؤولية تجاه أمته ودينه . وهناك أساب أخرى إلا أني أقتصرت على ما ذكرته خشية الإطالة .

أما سبل علاج التخلي عن تحمل المسؤولية الدينية، فمنها:[1]

١ – التبصير بالمسؤوليات والتعريف بالتكاليف: إن المرحلة الأولى من مراحل تحمل

(١) ينظر: نحن المسؤولون، سلمان بن فهد العودة ،٥ – ٣٣، و المسؤولية، مقالة لمروان محمد أبو بكر .

المسؤولية أن يعرف المرء ما يجب عليه؛ لأنه لا يمكنه القيام بما يجب عليه إذا جهله، وحتى التكاليف الشرعية لا بد من معرفتها ووضوحها ليسهل بعد ذلك على المكلف تطبيقها، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ :يَا نَبِيَّ اللهِ ،وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)[1]

٢ – العناية ببرامج التزكية التي تدفع إلى تحمل التكاليف الشرعية بانشراح صدر وقبول ورغبة وبيان الثواب الجزيل الذي ينتظر الملتزم القائم بمسؤولياته الشرعية في الدنيا والآخرة.

٣– المحاسبة والرقابة لمن يتخلى عن مسؤولياته ويقصر فيما يجب عليه تجاه المجتمع والضرب على أيدي العابثين بالوظائف العامة، و تقدير من يقومون بالمهام والمسؤوليات والتنويه بدورهم وتقديم الجزاء الأوفى لهم الذي يستحقونه.

٤– تعويد الأطفال منذ الصغر تحمل المسؤولية والقيام بمهامهم الصغيرة التي تتناسب مع أعمارهم وتبغيض الاتكالية إليهم فإنها داء خطر.

٥– بث روح التفاؤل وإشاعة الأمل بانقضاء زمن الضعف الذي يعيش فيه المسلمون وبزوغ فجر الإسلام من جديد وأن المستقبل لهذا الدين وما علينا إلا أن نسعى لخير أمتنا بالقيام بمهامنا فيتحقق لنا النصر المنشود.

٦– إبراز النماذج المعاصرة التي تخطت العقبات وقامت مع العوائق بالمسؤوليات فسعدت ونجحت وصارت مثلا يحتذى وقدوة تؤتسى، فإن للأمثلة العملية تأثيراً كبيراً في النفوس.

---

(١) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط ١٩٩٨ م، كتاب (الإيمان) باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم (٢٦١٦) ٤/ ٣٠٨، وقال عنه: حديث حسن صحيح .

٧ ــ ترسيخ مفهوم السعادة في القيام بالمهام والنهوض بالمسؤوليات ليقدم المقدم على المسؤولية إقدام المتشوق الذي يطلب فيها السعادة والراحة.

فينبغي للمسلم تحمل مسؤوليته، وعدم التخلي عنها، وتأكيد ذلك والتواصي به، كي لا نكون من الخاسرين، الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[1]

المبحث الرابع:

آثار التخلي عن المسؤولية الدينية

تبين لنا مما تقدم أن للتخلي عن المسؤولية الدينية آثاراً سلبية في الفرد والمجتمع، منها[2]

١ ـ التخلي عن المسؤوليّة الدينية من الأمراض الاجتماعيّة الخطرة الّتي تفقد النّاس الثّقة فيما بينهم.

٢ ـ التخلي عن المسؤوليّة الدينية ينجم عنه الاضطراب وضياع الحقوق.

٣ ـ فشو المفسدين في مجتمع المسلمين.

٤ ـ التخلي عن المسؤولية الدينية سبب لدخول النار، فالمتخلي عنها مبغوض عند الله وعند النّاس.

٥ ـ التخلي عن المسؤوليّة الدينية يتنافى مع حمل الأمانة الّتي شرّف الله تعالى بها الإنسان.

٦ ـ تجعل بنيان الدّولة قابلاً للتّصدّع عند التّعرّض للمحن والحروب .

٧ ـ أن المتخلي عن المسؤولية الدينية ليس لديه شعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل .

---

(١) العصر :١ – ٣.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤ :٩/ ٤٢٩٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أحمده على توفيقه وإحسانه وأصلي وأسلم على من فاق البشر بأقواله وأفعاله وجميع أحواله .

أما بعد: فبعد دراستي (التخلي عن المسؤولية الدينية في المنظور القرآني ـ نماذج مختارة ـ دراسة موضوعية) يمكنني أن أجمل أهم ما توصلت إليه من نتائج :

١ـ الدارس للقرآن الكريم يرى أنَّ آيات القرآن الكريم حثت على تحمل المسؤولية الدينية، وعدم التخلي عنها .

٢ـ إن كلّ فرد من أفراد المجتمع، مطالب بالمشاركة في تسيير أمور مجتمعه، فالأب، والأم، والأستاذ، والطبيب، والحاكم ...الخ، مطالبون بتحمل المسؤولية الدينية وعدم التخلي عنها، فالجميع مسؤولون عن بعضهم، ومأمورون بالدّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهذه المسؤوليّة الّتي يحسّها المسلم الصّادق من جرّاء تفريط أحد أفراد أسرته تخزّ جنبه، فلا يطيق عليها صبراً، ويسارع في إزالة أسبابها، مهما تكن النّتائج، فما يطيق السّكوت عليها إلّا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رقّة.

٣ ـ إن لتحمل المسؤولية الدينية وعدم التخلي منها، أهمّية كبرى في تهذيب الأخلاق وتقويم السّلوك، فالتربية الصحيحة على تحمل المسؤولية وعدم التخلي عنها هي الّتي تجعل للتّدريب والتّعويد شأناً في رسوخ الصّفات الطّيّبة، فالتخلي عن المسؤولية الدينية سبب انحراف الأخلاق والسّلوك .

٤ ـ إن للتخلي عن المسؤولية الدينية آثاراً سلبية كثيرة، فهي من الأمراض الاجتماعيّة الخطرة الّتي تصيب المجتمع، فينجم عنها الفوضى وضياع الحقوق، وفشوّ المفسدين، كما أنها سبب لدخول النار، مع أنها تجعل بنيان الدّولة قابلاً للتّصدّع عند التّعرّض للمحن والحروب .

والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١ - الأديان القديمة في الشرق، رؤوف شلبي، (د.ت.ط) .

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢ - البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١٤٢٢،١ هـ - ٢٠٠١ م .

٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض،الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)،المحقق:مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت.ط) .

٤ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي ــ بيروت ،(د.ت.ط).

٥ - التصوف الإسلامي د . قاسم غني ترجمة صادق، (د.ت.ط) .

٦ - التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ .

٨ - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ت.ط) .

٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي،(د.ت.ط) .

١٠ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تح:د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت ،ط١، ١٤٠٠ ه- ١٩٨٠م.

١١ - جامع الدروس العربية،مصطفى بن محمد سليم الغلاييني(ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ٢٨، ١٩٩٣ م .

١٢ - دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

١٣ - دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٤ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

١٥ - روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، (د.ت.ط) .

١٦ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١٩٩٨ م .

١٧ - شرح العقائد النسفية: الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تح: محمد عدنان درويش،(د.ت.ط) مكتبة دار البيروتي.

١٨ - شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي(ت ٧٩٢هـ)، تح: عبد الله عبد المحسن التركي ،شعيب الارنؤوط، (د.ت.ط)،

مؤسسة الرسالة .

١٩ – شرح المقاصد في علم الكلام، الشيخ سعد الدين التفتازاني، ط١، ١٤٠١ه، دار المعارف – النعمان – باكستان .

٢٠ – شرح النسفية في العقيدة الإسلامية،عبد الملك عبد الرحمن السعدي(د.ت .ط)، العراق – الرمادي .

٢١ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٢٢ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم الدارمي البستي(ت ٣٥٤ هـ)، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٩٣م .

٢٣ – صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ه ــ ١٩٨٧م .

٢٤ – صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الآفاق الجديدة بيروت، (د.ت.ط) .

٢٥ – صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٦ – العقيدة الإسلامية ومذاهبها، قحطان الدوري، ط١، ١٤٣٢ه ــ ٢٠١١م، كتاب ناشرون / بيروت ــ لبنان.

٢٧ – علم الأخلاق، النظرية والتطبيق، محمد الخاقاني، بيروت، دار مكتبة الهلال ١٩٨٧ م.

٢٨ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت.ط) .

٢٩ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ط ١٣٧٩ه .

٣٠ – فتح البيان في مقاصد القرآن ،أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت:١٣٠٧ه)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ط ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

٣١ – في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) ،دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ ـ

٣٢ – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

٣٣ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣– ١٤٠٧ هـ .

٣٤ ــ كنوز الذهب في تاريخ حلب،أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي (ت: ٨٨٤هـ)، دار القلم، حلب ،ط١، ١٤١٧ هـ .

٣٥ – لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ .

٣٦ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية

الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان –، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٧ – مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦هـ)، ط ١٤٠١ه – ١٩٨١م، دار الكتاب العربي/ بيروت – لبنان .

٣٨ ـــ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤ه)،ط١، ١٤٢٢ه ـــ ٢٠٠٢م، دار الفكر، بيروت ـــ لبنان.

٣٩ – المسامرة بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي الشافعي (ت٩٠٦هـ)، تح: صلاح الدين الحمصي، ط١،١٤٣٠هـ ـــ ٢٠٠٩م .

٤٠ – المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، د. أحمد سيد عثمان، القاهرة، (د.ت.ط) .

٤١ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت ،(د.ت.ط) .

المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي(ت: ١٣٩٩هـ) (د.ت.ط).

٤٢ – معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب – بيروت ،ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٤٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٤٤ – المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد

النجار، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د.ت.ط) .

٤٥ – المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ،تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، (د.ت.ط) .

٤٦ – مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٤٧ – الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، (د.ت.ط).

٤٨ – نحن المسؤولون، سلمان بن فهد العودة، (د.ت.ط) .

٤٩ – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٥٠ – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤ .

٥١ – نظم العقيان في أعيان الأعيان ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) المحقق: فيليب حتي، المكتبة العلمية – بيروت .

٥٢ – الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

٥٣ – الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد

الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .

المواقع الألكترونية

شبكة الألوكة ،ثقافة معرفة وفكر

(http: / /www.alukah.net /culture /0 /7942)